

الدار يطوّفن بالبخور مهمهمات متممات، منهن من تدعو الله ومنهن من تدعو الشيطان، وقد اجترأت إحداهن فذكرت حفل الزار، ولكن علياً ثار لذلك وزجر النساء زجراً عنيفاً، وأقسم لتأوين كل واحدة منهن إلى غرفتها، ولينقطعن لغطهن الثقيل البغيض، ثم أقام يخالف مع ابنه إلى غرفة نفيسة، حتى إذا صُلّيت العصر خرج من الدار يقصد قصر الشيخ. وقد انتهى إليه، فرآه في نفر من أصحابه يسمع منهم ويقول لهم. فلَمَّا رآه الشيخ مُقبلاً من بعيد لمحّه لحظة خاطفة، ثم قال في صوت هادئ: إن لعلّي اليوم لشأنًا. وقد عرف القوم أن قد كان لعلّي شأن: فقد دنا من الشيخ وألقى في أذنه بعض الهمس، وإذا الشيخ ينهض ويأخذ بيد علي، وإذا هما يسعيان إلى باب يُفتح لهما في صدر المجلس، ثم يغلق من دونهما، وقد قصّ علي على شيخه خبر نفيسة، فاستمع له الشيخ، حتى إذا فرغ من حديثه بسط الشيخ يديه ورفع رأسه، ولم يزد على أن قال: «اللهم إننا لا نسألك ردّ القضاء ولكن نسألك اللطف فيه.» ثم أطرق وجعل فمه يهمهم وحبّات سبخته الغلاظ تساقط بين أصابعه، حتى إذا أتم دورة السبحة رفع رأسه إلى علي وقال: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب؛ قم يا بني فأنبئ عبد الرحمن بمرض ابنته، فما ينبغي أن يجهله، وما أشك في أنه سيُقبل مسرعاً، ثم ابتسم وقال: وسيتيح لنا ذلك أن نراه فقد بعد عهدنا به، ثم نهض ونهض معه علي وفُتح لهما الباب وأُغلق من دونهما، وإذا الشيخ بين أصحابه قد جلس إليهم يسمع منهم ويقول لهم، وإذا علي منصرف إلى داره ونفسه تتقطع حشرات؛ فقد كان يظن أن الشيخ سيصحبه إلى الدار، سيدخل على نفيسة ويدعو لها بالشفاء، ولو قد فعل لرُدّت نفيسة إلى خير ما كانت عليه من الصحة والعافية.